وما تطارح به أهل التأويل من حوار يكاد أكثره يكون أقرب إلى العبث والثرثرة ولغو الكلام الذي نراه مسطوراً، فلا نقع منه إلاّ َ قطرات من المداد تتابعت تشكّل ألفاظاً وعبارات لا تبسط رأياً، ولا تشغل حيّزاً من فكر مفكّر، لأنّها خاوية جوفاء، قد أفرغت من أيّ مضمون! وتعال فانظر كيف ذهب بعضهم في وراثة الأنبياء مذهباً شطح بهم إلى أبعد الحدود! ظنّوا أنّ دعوة زكريا حجّة بالغة على توريث النبوّة، وارتكزوا في ظنّهم هذا إلى زكريا إذ نادى ربّه نداءً خفياً، قال: (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ). فاستجاب له ا: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَم اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً)[1565]. فأمّا وزكريا نجّار فقير، لا يكاد يحصل على قوت يومه إلاّ َ بشقّ نفسه، فأيّ إرث إذاً سيترك لولده الذي رزقه ا؟ لا شيء إلاّ َ النبوّة; لافتقاره إلى كلّ ما عداها من ضروب المواريث! ومصداق نظرتهم هذه أنّ ا استجاب لشرط الطالب فآتاه المطلوب! وليس فوق هذا على توريث النبوّة دليل قاطع، كما يحسبون! * * * وتعال أيضاً فانظر، كيف يقال: إنّ امتناع وراثة شيء عن الأنبياء إلاّ َ نبوّتهم، إنّما يعني انفساح مجال إرث البنوّة لكلّ الأبناء! ومقتضى هذا القول أن يكون كلّ أولاد آدم أنبياء!